

مقتل البغدادي.. داعش في مفترق طرق الدم أو الانقراض

عبدالله قرداش ذئب منفرد يخلف أميراً من ورق



العالم أمام أنماط إرهابية أكثر خطورة

طرح الإعلان عن مقتل أبي بكر البغدادي زعيم تنظيم الدولة الإسلامية الأحد، السؤال المحوري حول مصير التنظيم والبديل المنتظر لخلافته. وعلى الرغم من إعلان داعش عن اسم عبدالله قرداش كرجل ثان بالتنظيم في أغسطس الماضي، إلا أن مسألة التنبؤ بالموقف الحقيقي للتنظيم ما زالت غامضة، أمام معلومات تشير إلى أن شخصية قرداش تميل نحو المزيد من أنماط الوحشية غير المسبوقة لدى أي تنظيم متطرف.

محمود زكي
كاتب مصري



في أغسطس الماضي، قيل إن أبا بكر البغدادي يمر بظروف صحية معقدة، بعد أن بدا هزلياً في آخر ظهور له عبر مقطع مصور نُشر في أبريل الماضي، واعترف طبيبه، رباح البديري، الذي قبض عليه منذ ثلاثة أشهر في مدينة الموصل العراقية، بالحالة الصحية السيئة.

أوحى الحالة المتدهورة بضرورة اختيار خليفة للتنظيم الممتد عبر خلايا متعددة شرقاً وغرباً، قبل أن يتكاتف الصراعات والخلافات حول القيادة البديلة، ويتسخط التنظيم الذي يواجه تحديات جسيمة بعد دحره في كل من العراق وسوريا.

واعلن داعش وقتها أنه بالفعل اختار صديق البغدادي في محبسه بالعراق عام 2003، أمير محمد سعيد عبدالرحمن محمد المولى، أو كما يُعرف باسم عبدالله قرداش، الرجل الثاني في التنظيم والخليفة المنتظر. قبل ذلك التاريخ لم يكن قرداش معروفاً على نطاق كبير، لأنه قليل الظهور في مشاهد الاجتماعات والقيادة، واكتفى منذ بداية التنظيم أن يلعب دور المشرع والمفكر والمطور لآليات الجماعة الاستراتيجية والهجومية.

قرداش صاحب فكرة

استخدام عمليات الدهس بالسيارات، وكان أبرز أعماله وتوجيهاته حادث مدينة نيس الفرنسية عام 2016 الذي راح ضحيته أكثر من 80 شخصاً

وقالت تقارير صحافية غربية إن قرداش ولد عام 1976 في مدينة تلغفر، أقصى شمال غرب العراق. ويصف الكاتب والباحث الأميركي كولن كلارك في كتابه الذي صدر هذا العام باسم "ما بعد الخلافة" أن الرجل الثاني في داعش عرف عنه أنه "مقاتل شرس، ومتعصب وشديد التطرف إلى درجة أن البغدادي نفسه يقوم بتحجيم

أشاروا إلى قدرته المستمرة على تقديم أفكار وحشية متفردة في العمليات التي استهدفت الدعاية، مثل استخدام وسائل الإعدام في تصوير مشاهد الحرق أو عبر ملف تطوير الضربات والهجمات الخارجية. ويقول الكاتب الأميركي "قرداش صاحب فكرة استخدام عمليات الدهس بالسيارات، وكان أبرز أعماله عام 2016 وراح ضحيته أكثر من 80 شخصاً".

المزيد من العنف

استطاع قرداش الولوج أكثر في تطوير أدوات التنظيم الهجومية بعد تراجعها نهاية عام 2017 في أوروبا، باستخدام النساء والأطفال أو ما يعرف باسم استراتيجية الأسر المفخخة في تطوير الهجوم البدائي في مناطق متفرقة، وهو ما جرى استخدامه بالفعل في أفغانستان وفرنسا وباكستان وإيران خلال عام 2018.

قد تفسر شخصية القيادي الجديد طبيعة ما يؤول إليه التنظيم من تغير، ربما يصل إلى درجة التحول الشامل في شكل وتكوين داعش ومنهجية الحركة، ولا يعني ذلك أن طريق الخليفة المنتظر سوف يصبح مفروشا بالورد.

يفتقد قرداش إلى كاريزما وفصاحة البغدادي في الخطابة، على الرغم من دراسته الدينية، وتقدير المنتسبين إلى التنظيم له باعتباره يحمل علماً شرعياً وأيقاً. ويخشى الظهور أمام الأضواء أو تحت مظلة الخطابة في المساجد، ما يفسر انعدام ظهوره تقريباً، وصعوبة العثور على صور له، وبخلاف واحدة تداولتها بعض وسائل الإعلام مؤخرًا، فضلاً عن غيابه المستمر عن التجمعات الكبيرة أو سماع اسمه ضمن القادة الكبار للتنظيم والفاعلين، مثل أبي يعقوب المقدسي، وأبي مصعب الصحراوي وأبي حارث العراقي. وكشفت بعض التقارير الغربية أن مذهب قرداش يعتمد على التدمير المطلق والعشوائي، وهو يرى في ذلك النموذج الأمثل لخلخلة دفاعات الأجهزة الأمنية الغربية أمام ضربات داعش. يتبنى القيادي المحتمل لداعش خطة "اللا خطة" التي صنعت هيمنة التنظيم وقوته، وأوحت بصعوبة قهره ومحاصرته، ويؤمن بنظرية الجهاد العالمي على أوسع نطاق، دون تركيز على خصوصية

أبو بكر البغدادي

مسيرة الرعب والموت

فقدان الأرض جرّده من الخلافة وجعله طريداً ثم أرداه قتيلاً

بعباءة سوداء خلال صلاة الجمعة ليعلن قيام دولة الخلافة.

في ذروة قوة تنظيم الدولة الإسلامية عام 2016 حكم التنظيم الملايين من الأشخاص في مساحة كبيرة تمتد من شمال سوريا عبر مدن وقرى في الوديان على امتداد نهر دجلة والفرات حتى مشارف العاصمة بغداد. وأعلن التنظيم مسؤوليته عن هجمات ارتكبها إما أفراد أو آخرون يستلهمون أفكاره في العشرات من المدن بما في ذلك باريس ونيس وأورلاندو ومانشستر ولندن وبرلين، وفي دول أخرى في المنطقة منها تركيا وإيران والسعودية ومصر.

وفي العراق شن التنظيم العشرات من الهجمات على المناطق التي يغلب عليها الشيعة. وفي تفجير شاحنة ملغومة في يوليو عام 2016 سقط أكثر من 324 قتيلاً في منطقة مزدهمة في بغداد فيما كان أشد الهجمات دموية منذ غزو العراق عام 2003. كما نفذ التنظيم العديد من التفجيرات في شمال شرق سوريا الذي كان يخضع لسيطرة قوات كردية تدعمها الولايات المتحدة. ونشرت أغلب خطب البغدادي تسجيلات صوتية فيما يمثل وسيلة أكثر ملائمة للطابع السري الحذر الذي ساعده لفترة طويلة في نقادي المراقبة والضربات الجوية التي قتلت أكثر من 40 قيادياً كبيراً في التنظيم.

وأقرن هذا الحذر بقسوة لا تعرف الرحمة فضي بها على خصوم وحلفاء سابقين حتى في صفوف السلفيين. وشن حرباً على الجناح السوري في تنظيم القاعدة الذي عرف باسم جبهة النصرة بعد انفصاله عن الظواهري الزعيم العالمي للتنظيم في 2013.

تهديد قائم

في حين حرم تدمير الكيان الشيعي بالدولة الذي أقامه البغدادي بالتنظيم من أداة تجنيد الأنصار ومن القاعدة اللوجستية التي استطاع من خلالها تدريب المقاتلين والتخطيط لشن هجمات منسقة في الخارج، يعتقد أغلب الخبراء الأمنيين أن التنظيم لا يزال يمثل تهديداً. ومن المعتقد أن التنظيم له خلايا نامئة في مختلف أنحاء العالم وأن بعض المقاتلين يعملون سرا في صحراء سوريا وفي مدن عراقية ولا يزالون يشنون هجمات كرفر.

وفي أحدث رسالته الصوتية في سبتمبر الماضي تظاهر البغدادي بالشجاعة ورباطة الجأش قائلاً إن العمليات اليومية مستمرة، وحث أتباعه على العمل على تحرير النساء السجيات في العراق وسوريا بسبب ما قيل عن صلاتهن بالتنظيم.

غير أن فقدان الأرض في العراق وسوريا جرّده من بريق الخلافة وجعله طريداً في المنطقة الصحراوية الحدودية بين البلدين. واضطر البغدادي إلى التنقل سرا في سيارات عادية أو شاحنات الحاصلات الزراعية بين مخابئه على جانبي الحدود لا يرافقه سوى سائقه وحارسين. وتعد المنطقة أرضاً مطروقة لرجاله. فقد كانت بؤرة التمرد السنني على القوات الأميركية في العراق في البداية ثم على الحكومات العراقية التي حكمت البلاد بقيادة الشيعة.

وخوفاً من تعرضه للاعتقال أو الخيانة لم يتمكن من استعمال الهواتف ولم يكن يثق سوى في عدد لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة من الأفراد للتواصل مع مساعديه العراقيين الرئيسيين إياهم العبيدي وزير دفاعه وإياد الجميلي المسؤول عن الأمن. وكان من المعتقد أن الإثنين من المرشحين المحتملين لخلافته غير أن الجميلي قتل في أبريل 2017 بينما لا يعرف أحد شيئاً عن مكان العبيدي.

وعلى أي حال فإن الخلافة العسكرية والافتقار إلى البحر في الدين يعنيان أن أبا من نواب البغدادي سيواجه من بعده صعوبة في أن يرث إدعاءه بأحقية في تولي الخلافة.

أحمد رشيد وأحمد أبو العينين

بغداد - استهدفت عملية عسكرية أميركية في سوريا أبو بكر البغدادي العراقي الذي اعتنق الفكر المتشدد وبرز من الظل ليعلن نفسه خليفة على المسلمين باعتباره زعيم "الدولة الإسلامية" التي أعلن قيامها. وقالت مصادر في سوريا والعراق وإيران، الأحد، إنها تعتقد أنه سقط قتيلاً. وقال مسؤول أميركي لرويترز مشرطاً الحافظ على سرية هويته إن البغدادي كان هدفاً لغارة ليلية، لكنه لم يستطع الجرم بنجاح العملية.

بدوره أكد الرئيس الأميركي دونالد ترامب، الأحد، مقتل زعيم تنظيم الدولة الإسلامية أبو بكر البغدادي في عملية عسكرية أميركية بشمال غرب سوريا، قائلاً في كلمة القاها من البيت الأبيض "أبو بكر البغدادي قتل"، ومضيفاً أن ذلك تم بعد تفجير "سترتة" الناسفة. وظل البغدادي لفترة طويلة هدفاً للقوات الأميركية وقوات أمنية أخرى في المنطقة تحاول القضاء على تنظيم الدولة الإسلامية حتى بعد استعادة معظم الأراضي التي سيطر عليها التنظيم.

وداع صيت الدولة الإسلامية أو دولة الخلافة التي أعلنها البغدادي في يوليو عام 2014 على ربع مساحة العراق وسوريا بفعل فظائع ارتكبها رجالاته بحق أقليات دينية وهجمات دارت وقائعها في خمس قارات وروعت حتى المسلمين من أصحاب الفكر المعتدل.

وسلطت الإبادة الجماعية للطلاقة الإيزيدية التي تعد من أقدم الأديان في الشرق الأوسط الضوء على وحشية حكم البغدادي. فقد كان مصير الآلاف من الرجال الذبح على جبل سنجار موطن أسلاف الإيزيديين في شمال غرب العراق وتعرضت النساء للقتل أو السبي. وتعرض أبناء طوائف دينية أخرى للسبي أو القتل أو الجلد.

وأثار التنظيم اشمئزازاً عالمياً بمشاهد قطع رؤوس رهائن من دول من بينها الولايات المتحدة وبريطانيا واليابان. وعرضت الولايات المتحدة جائزة قيمتها 25 مليون دولار لمن يبدى بمعلومات تؤدي إلى القبض على البغدادي، وهو المبلغ ذاته الذي عرضته للقبض على أسامة بن لادن زعيم تنظيم القاعدة وخليفته أيمن الظواهري.

واتت ضربات جوية أميركية إلى مقتل معظم قيادات البغدادي بمن في ذلك أبو عمر الشيشاني وأبومسلم الترمكاني وأبو علي الأنباري وأبوسيف و كذلك أبو محمد العدناني المتحدث باسم التنظيم. كما سقط الآلاف من مقاتليه بين قتل وأسير.

لتسبيل دماؤهم أنماراً

ولد البغدادي باسم إبراهيم عواد السامرائي عام 1971 في الطلوجي إحدى المناطق الفقيرة في مدينة سامراء الواقعة إلى الشمال من العاصمة العراقية بغداد والتي حمل اسمها. وكان من أفراد عائلته بعض الدعاة المتشددون من السلفيين الذين يعتبرون العديد من المذاهب الأخرى كفراً ويرون حرامانية في الأديان الأخرى.

انضم البغدادي إلى حركة التمرد السلفي عام 2003 الذي قادته فيه الولايات المتحدة اجتياح العراق وسقط في أيدي الأميركيين الذين اطلقوا سراحه بعد عام اعتقاداً منهم أنه ليس سوى محرض على الاحتجاج المدني ولا يمثل تهديداً عسكرياً.

ولم يلفت البغدادي أنظار العالم حتى الرابع من يوليو عام 2014 عندما صعد درجات المنبر في الجامع النوري العتيق القائم منذ مئات من السنين متشحا

